القدرة النووية الإيرانية وتوظيفاتها الإقليمية

2006/9/29م

الدكتور محمد شقير

يبدو واضحاً من جميع المعطيات الماثلة أمامنا أن إيران حسمت خيارها في الاستمرار في مشروعها النووي رغم الضغوط المختلفة التي تمارس عليها والتي تحاول ثنيها للعدول عنه.

وقد يكون أمراً مبرراً لإيران أن يكون لها خياراتها النووية في منطقة تعيش حالة من التوتر وعدم الاستقرار ومع وجود النظام الإسرائيلي الذي يملك ترسانة نووية لا يضمن عدم استخدامها أو في الحد الأدنى عدم توظيفها لإرهاب المنطقة واخضاعها.

كما أن الأمر لا يقتصر فقط على الخطر النووي الإسرائيلي حيث أن السياسة الأميركية في المنطقة وامتلاك أمريكا لترسانة ضخمة من السلاح النووي وغير النووي، فإن كل ذلك يشعر العديد من دول المنطقة بخطر فعلي وحقيقي يتهددها، وخصوصاً أن الولايات المتحدة الأمريكية سبق أن استخدمت هذا السلاح، كما أنها هددت مرات عديدة باستخدام هذا السلاح فضلاً عن تجربة تاريخية طويلة مع الاستعمار القديم والجديد تثبت أن هذه الدول لا تتورع عن فعل الكثير إذا ما كان يخدم مصالحها وأهدافها.

وبالتالي فإن ما نقوله إنه في وضع كهذا سيكون مبرراً لإيران امتلاك السلاح النووي لممارسة فعل ردعي تجاه كل من أمريكا وإسرائيل لمنعهما من استخدام القوة العسكرية في المواجهة القائمة حالياً؛ أي أن وجود هذا السلاح بيد إيران سوف يمنع هاتين القوتين أمريكا وإسرائيل من القيام بأية مغامرة تؤدي إلى تفجير المنطقة بأسرها؛ ولذا فإن وجود السلاح النووي بيد مختلف الأطراف قد يسهم بشكل واخر في المنع من نقل المنطقة إلى درجة الانفجار لأن حسابات المواجهة النووية لا بد أن تكون حاضرة عندها في معطيات أي قرار يمكن

أن يعتمده هذا الطرف أو ذاك، لكن كل ما تقدم لن يمنع الولايات المتحدة الأمريكية من استخدام المعطى النووي الإيراني في سياسة الفوضى البناءة؛ فكيف يمكن أن يعمل الأمريكيون في هذا المجال.

إن ما تريده أمريكا هو تشتيت مواقع القوة على المستويين العربي والإسلامي حتى لا يبقى من قدرة على مواجهة الهيمنة الأمريكية ولتبقى إسرائيل بمنأى عن جميع خيارات المواجهة التي تعتمدها العديد من الحركات الوطنية والإسلامية، وقلة قليلة جداً من دول المنطقة.

وإذا كانت مبادئ الوحدة الوطنية والإسلامية وقيمها تعمل على تعزيز موقف المواجهة وتصليب الساحة أمام المشروع الأمريكي الإسرائيلي، فسوف يكون من البديهي أن تعمل أمريكا على تأجيج المشاعر والعصبيات الطائفية والمذهبية والعرقية لتضع المسلم أمام المسيحي والسني أمام الشيعي والعرب أمام الأكراد وهكذا مما يسهم في ايجاد نزاعات مذهبية وعرقية في العديد من الدول العربية والإسلامية مما يريح إسرائيل ويفتح الباب واسعاً أمام النفوذ الأمريكي.

ولذا سوف يكون من البديهي أن تعمد أمريكا إلى جعل الموقف العربي والخليجي تحديداً في مواجهة الخيار النووي الإيراني، كما سوف تعمل على جعل المقاومة في لبنان في مواجهة أوضاع مذهبية غير مريحة تسهم في محصولها في اضعاف قوى المواجهة والممانعة في المنطقة.

وهنا هل من الصحيح أن يكون الموقف العربي في مواجهة المشروع النووي الإيراني أم أنه سوف يكون من الأهمية بمكان أن يستفيد الموقف العربي من الخيار النووي الإيراني على أكثر من مستوى وخصوصاً في ظل أوضاع عاصفة تمر بها المنطقة، ولذا سوف يكون من المنطقي أن يطرح هذا السؤال عن ما يمكن أن يترتب على الخيار النووي الإيراني فيما يرتبط. بأزمة المنطقة وقضية الصراع مع إسرائيل.

أولاً: أن الخيار النووي الإيراني قد يردع إسرائيل عن الدخول في أية مغامرة عسكرية ليس فقط مع إيران وإنما أيضاً مع أية دولة عربية سواءً كانت من دول المواجهة أو غيرها، إذا ما عمد إلى حسن الاستفادة من القدرات النووية الإيرانية.

ثانياً: إنه يضعف التفوق الاستراتيجي الإسرائيلي على المستوى العسكري، وإذا كانت إسرائيل تعتمد على هذا التفوق الاستراتيجي لتأكيد دورها وهيمنتها... فإن هذا الضعف على المستوى العسكري لا بد أنه سيمس عصب القوة الإسرائيلي وسوف يؤدي إلى تراجع النفوذ الإسرائيلي على مستوى المنطقة.

ثالثاً: إن هذا الخيار النووي سوف يقوي ويدعم الموقف الفلسطيني والعربي أمام إسرائيل مما يسهم في استرجاع الحقوق العربية وتوفير فرصة أكبر لحل العديد من المشاكل المستعصية والحصول على جميع الحقوق باعتبار أن الحق هنا لم يعد يفتقد لسند استراتيجي عسكري يستطيع أن يحميه.

إن إيران نووية هي أفضل للعرب في مواجهة إسرائيل من إيران غير نووية وإذا كانت قضية الصراع مع إسرائيل تعني العديد من الدول العربية ذات العلاقة فإن وجود دولة إسلامية نووية إلى جانبها تعلن العداء لإسرائيل وتدعم بقوة القضية الفلسطنية؛ لا شك أنه سوف يكون في صالح القضية الفلسطينية ولصالح الموقف العربي والإسلامي في معادلات الصراع مع إسرائيل.

لن يكون من الصحيح أن تكون بعض الدول العربية في مواجهة إيران النووية بل الصحيح أن تكون هذه الدول إلى جنب إيران في مواجهة إسرائيل النووية ولن يكون كافياً المناداة بخلو منطقة الشرق الأوسط فقط من أسلحة الدمار الشامل لأن في هذا الأمر اغفال للترسانات النووية الموجودة لدى العديد من الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا وطبيعة توظيفاتها الاقليمية في ممارسة الهيمنة على المنطقة وتأكيد نفوذها وفرض مصالحها؛ كما أن قضية الخيارات النووية في المنطقة ترتبط بشكل كبير بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، وبالتالي فإن الموضوع يتجاوز مقايضة سلاح بسلاح.